

المقارنة بين الخطابة في العصر الجاهلي و الإسلامي

لعبد العظيم أمين
أحد المدرسين بكلية الآداب و العلوم الإنسانية
جامعة رادين الفتح الإسلامية الحكومية
فالمبان

Khutbah merupakan bentuk seni mengekspresikan ide-ide seorang dengan bahasa yang indah dan dapat menggugah pikiran dan perasaan para pembaca dan pendengarnya. Urgensi khutbah dalam catatan sejarah sastra Islam telah ada sejak awal-awal penyebaran agama Islam. Hal ini terjadi, karena khutbah pada masa itu telah difungsikan sebagai media dakwah Islam yang presentatif. Dalam artikel ini disajikan tentang pengetahuan khutbah, perkembangannya, contoh khutbah masa Jahiliyah (150 tahun Sebelum Hijriah) dan masa Islam (awal munculnya Islam, masa Nabi dan Khulafa` rasyidin). Juga beberapa tokohnya masing-masing, dan bentuknya yang khas, sehingga tampak berbeda pada dua masa karena beda motivasinya. Dan ada ciri-ciri masing-masing.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد، أشرف الأنبياء و المرسلين، و على آله و صحبه و من والاه، أما بعد،

فاخترت هذا العنوان " المقارنة بين الخطابة في العصر الجاهلي و الإسلامي " يعني عصر صدر الإسلام. أما الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا العنوان، فمنها، حرصي الشديد على معرفة الخطابة التي هي فن من فنون تاريخ الأدب العربي؛ فأقدم في هذه المقالة عما وقعت بعض الخطب في العصر الجاهلي الثاني، و في العصر الإسلامي، يعني من بدء

سنة 612 م إلى مقتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه؛ سأتحقق من الخطباء المشهورين فيهما و سيرهم المختصرة؛ و أقدم للقراء معرفة الأغراض بعض النماذج من الخطب الجاهلية و الإسلامية و الخصائص فيها من ناحية الأسلوب و المعنى؛ و المقارنة بعض خطبهم في هذين العصرين من الأشباه و الفروق و العوامل المؤثرة عليها فيهما؛ دينية كانت تلك الأسباب أو غيرها؛ أما المصادر الأساسية، فهي الكتب التي كتبها الدكتور شوقي ضيف في كتابه "تاريخ الأدب العربي" ج 1-2، ط- مصر دار المعارف- 1960م؛ و الشيخ محمود جاد عكاوي، الأستاذ المبعوث المصري في كتابه "الموجز في الأدب العربي" ج 1-2، مطبعة بوجياكرتا؛ و الشيخ العلامة أبو الأعلى المودودي في كتابه "مبادئ الإسلام" ، مؤسسة الرسالة، بيروت 1395 هـ-

من المعلوم، أن تاريخ الآداب ينبغي أن لا يلحق بالعلوم الطبيعية، و إنما يلحق بالدراسات الإنسانية ، مثل: التاريخ، و القانون، و السياسة، و علمي الاجتماعي و النفسي.¹ و قال له محمود جاد عكاوي، وهو علم يبحث عن أحوال اللغة و تطور الأدب و فنونه و التعريف بالنابهيين عن الأدباء في الأمة، و نقد مؤلفاتهم و بيان مدى تأثرهم بالبيئة و الظروف التي أحاطت بهم ، و مدى تأثير بعضهم في بعض. و وصف ما قد يكون بينهم من أوجه التشابه أو التخالف و الكشف عن نواحي التجديد و الابتكار و المحاكاة و التقليد ، و بيان آثار العصور متلاحقة في تطور الإنتاج العقلي قوة و ضعفا و تجديدا و تقليدا.² و كلمة أدب جمعه آداب. بمعنى الظروف و التهذيب،³ و له على معنيين؛ معناه العام "كل ما ينتجه العقل و الشعور يسمى أدبا"، و معناه

¹ - شوقي ضيف، الدكتور، في كتابه "تاريخ الأدب العربي" ج 1-2، ط- مصر دار المعارف-

1960م؛ ج-1، ص 13؛

- محمود جاد عكاوي، الشيخ المبعوث المصري في كتابه "الموجز في الأدب العربي" ج 1-2،² مطبعة بوجياكرتا؛ ص 11؛

الأب لويس معلوف في كتابه "المنجد في اللغة" ص 5³ -

الخاص " هو الأدب الخالص الذي لا يراد به إلى مجرد التعبير عن معنى من المعاني، بل يراد به أيضا أن يكون جميلا بحيث يؤثر في عواطف القارئ و السامع على نحو ما هو معروف في صناعاتي الشعر و فنون النثر الأدبية مثل الخطابة.⁴

و أكده الآخر على معناه العام، يعني هو الإنتاج العقلي الذي يصور في الكلام و يكتب في الكتب. و معناه الخاص هو الكلام الجيد الذي يحدث في نفس قارئه و سامعه لذةً فنيةً، سواء أكان هذا الكلام شعرا أم نثرا.⁵ و الكلام منقسم إلى المنظوم و المنثور إلا أن الأول (النظم) ما تقيد بالوزن و القافية، و الثاني (النثر) ما لم يتقيد بهما.⁶ و النثر أسبق أنواع الكلام في الوجود لقرب تناوله و ضرورة استعماله، و هو نوعان: فالأول مسجع إن التزم في كل فقرتين أو أكثر (فقرّة) قافية. و الثاني مرسل إن كان غير ذلك.⁷ فأقسام النثر ثلاثة: محادثة، و كتابة، و خطابة.⁸

و الآداب تقسم إلى سبعة: و هي الآداب الكبرى في العالم، منها الآداب الهندية، و الصينية، و اليونانية، و الرومانية، و الفارسية، و الأوروبية، و العربية.⁹ فكلمة العربية أو العربي اسم المنسوب ثلاثي صحيح في "العرب". و هو مصدر من "عربُ" بمعنى تكلم بالعربية و لم يلحن (تبدأ سأل). و قد يطلق على مصدر عربٍ - بمعنى فصح (توترن جلاس/تراغ) بعد لكنة (برت/فايه) في لسانه، و المراد هنا أي الصرخاء الخالص (برسيه يغمرنى تياد برجمفر).¹⁰

⁴ - شوقي ضيف، نفس الكتاب ص 10؛

⁵ - محمود جاد عكاوي، المرجع السابق ج-1 ص 9؛

⁶ - طه حسين، الدكتور، في كتابه "من حديث الشعر و النثر"، ط-10، دار المعارف بمصر 1936م؛ ص 21؛

⁷ - أحمد حسن الزيات، الشيخ، في كتابه "تاريخ الأدب العربي"، ط-15، دار نهضة مصر للطبع ص 18؛ - و النشر- الفجالة- القاهرة؛

⁸ -- أحمد الإسكندري و مصطفى عناني : الشبخان في كتابهما "الوسيط" دار المعارف بمصر ط- 18 1335 هـ/1912م؛ ص 21؛

⁹ - طه حسين، الدكتور، المعج السابق ص 10؛

- الأب لويس معلوف اليسوعي في قاموسه "المنجد في اللغة و الأعلام" ط. بيروت ¹⁰ 1974م ط-24؛ ص 495؛

و أكثر من أرخوا للأدب العربي وزعوا حديثهم في هذا التاريخ على خمسة العصور أساسية: الأول، عصر الجاهلية أو عصر ما قبل الإسلام؛ والثاني، عصر الإسلام من ظهر الرسول (نبينا محمد بن عبد الله) صلى الله عليه و آله و سلم إلى سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ / 750م، و هو العصر الذي تكونت فيه الدولة العربية تمت الفتوح الإسلامية. و من المؤرخين من يقسم هذا العصر (العصر الإسلامي) إلى قسمين: - من سنة 612 م، الكاتب- إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين (وفاة خليفة علي بن أبي طالب ر ع سنة 40هـ / 661م) يسمى عصر صدر الإسلام.¹¹

و على هذا الرأي أكده الآخر، و هو ينقسمها إلى خمسة أعصر (عصور) على حسب ما طرأ -داتغ سجار مندأد- على المجتمع العربي و الإسلامي من تطورات سياسية و اجتماعية، و هي: الأول، العصر الجاهلي، يبتدئ منذ القرن الرابع - المسيحي- و ينتهي بظهور الإسلام، و الثاني، عصر صدر الإسلام و بني أمية، يبتدئ بظهور الإسلام و ينتهي بقيام الدولة العباسية سنة 132هـ / 750م.¹²

و من هذه البيانات فهمنا الآن أن الخطابة هي فن من فنون تاريخ الأدب العربي في العالم على معناه الخاص، إما في العصر الجاهلي أو الإسلامي، و سنبحث عنها كما تلي:

تعريف الخطابة

الخطابة لغةً هي الوعظ و الإرشاد، و هي مصدر من كلمة "خطبُ - حُطِبَ و خطابة". و إذا قلنا "خطب فلانٌ، أي قرأها (الخطبة/ الخطابة) على الحاضرين".¹³ و الخطابة اصطلاحًا هي الترغيب فيما ينفع و عمًا يضر، و تكون على ملاٍ من الناس في المجامع و المواسم.¹⁴ و يقول

- شوقي ضيف، المصدر السابق ص 14؛¹¹

¹²- محمود جاد عكاوي، المصدر السابق ص 12؛

¹³- الأب لويس معلوف اليسوعي، المصدر السابق ص 186؛

- أحمد حسن الزيانت، المصدر السابق ص 18؛¹⁴

الآخر هي (اصطلاحاً) خطاب فصيح نابه الشأن يلقيه على جماعة في أمر ذي بال.¹⁵ و على ذلك يقول صاحب اللغة هي ما يكلم به الرجل صاحبه و نقيضه الجواب.¹⁶

و سأستخلصها الآن عن الخطابة اصطلاحاً هي كلام يلقيه على جماعة في المجامع و المواسم، و السبب الذي يدفعني باستخدام كلمة " الخطابة" فإنها كثر ما استعملها الأدباء كما وجدت في كتبهم السابقة، إذ كانت أشهر من كلمة " الخطابة".

نشأة الخطابة

فإذا نتكلم النشأة، هجم علينا سؤال "متى وجدت الخطابة؟"، فأجابه أستاذنا الشيخ محمد قاسم عبد السلام المبعوث المصري الذي ألقى علينا الخطابة العلمية تحت الموضوع "دور الخطابة في بناء الأمة نحو السعادة بقاعة الاجتماع في كلية الآداب جامعة سونن كاليجاكا جقجاكرتا بمناسبة الافتتاح للعام الدراسي الجديد سنة 1397 / 1398 هـ. أن الخطابة هي وجدت من بدء خلقة الانسان، لأن نبي الله آدم عليه السلام يلقي الكلام، هو الأسماء التي علمها الله آدم على جماعة.¹⁷ و كذلك ما حدث بنبي الله موسى عليه السلام الذي دعا إلى الله ربه القدير أن يجعله خطيباً فصيحاً بليغاً.¹⁸ و على الرغم من ذلك فنحن لا ننسى فيما مضى على أمة اليوناني و الروماني. كانت فيهما جزءاً من البلاغة (تأليف الخطب و ألقاها) كما كان لها شأن كبير في حياة الفرد و المجتمع، و قد ناقش كل من أرسطو (384 ق.م) و كوينلتان نظرة الخطابة من حيث الموضوع فوضعها لها قواعد و نماذج محددة.¹⁹

¹⁵- أحمد الإسكندري و مصطفى عناني: المصدر السابق ص 21؛

¹⁶- - الأب لويس معلوف اليسوعي، المصدر السابق ص 187؛

¹⁷- سورة البقرة: 31-33؛ كتبها فيضا لله (الحسيني) المقدسي "فتح الرحمن لطالب آيات القرآن" ط-

بالمطبعة الأهلية-10 شعبان 1322هـ؛ انظر الى الملحقات "8"؟؟

¹⁸- سورة طه/20: 25-28؛

¹⁹- - محمد شافق غربال في كتابه "الموسوعة العربية الميسرة" ط- دار القلم 1959م/1965 م
الدار القومية مطبعة مصر؛ ص 759؛

و في العصر الجاهلي، كانت نشأة الخطابة تزدهر بينهم و اصطلاحهم فيها على طائفة من السنن و التقاليد.²⁰ و كان كهانهم يحاولون التأثير البالغ في نفوس سامعيهم بما يسوقون إليهم من أسجاع (كات سجع /يغ سما أوجغن) و ألفاظ غريبة و أقسام و أيمان موهمة (سبلهكانن /يغمر كوكن). و كل ذلك يؤكد أن الجاهليين حاولوا في نثرهم ما حاولوه في شعرهم من روعة الأداء (بيارن جنئي موك/باكس روف)، حتى يستأثروا بقلوب سامعيهم و يخلبوا (منركم/منماكن) عقولهم و ألبابهم.²¹ و في ذلك يقول لنا الآخر، ... فيه كثر الخطباء، و كان لكل قبيلة شاعر و خطيب ... و رحلوا إلى السوقة (كديامن دي فوست كوت) و تسرعوا إلى أغراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر.²²

و أما في العصر الإسلامي، أنشأت الخطابة تزدهر و استخدمها الرسول (محمد بن عبد الله الأمين) لانتشار الدين ... و كانت خطابته تارة و عطا و تارة تشريعا. و قد تجمع بين الطرفين.²³ و يقول الآخر أن الخطابة فيه انضوت تحت لواء القرآن تدعو إليه و تسير على هديه و تقتبس من نوره.²⁴

و مضى الخلفاء الراشدون (ض) على هدي الرسول، يعظون الناس. و أخذ تدفع أبوبكر و عمر (ض) مواقف جديدة للكلام. إذ أخذوا يخطبون في الجيوش الفاتحة محمسين و موصلين باتباع تعاليم الإسلام السمحة في معاملة الأمم المغلوبة. و سار في نفس الدرب (جالن يغ سام) عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب (ض) و كان خطيبا مَفَوْهًا (جاكؤ برخطبه؟). و قد اندلعت الحروب الداخلية (بتجان فرغ سودار) طوال عهده

²⁰- شوقي ضيف، الدكتور، ص 429؛

²¹- نفس المصدر؛

²²- محمود جاد عكاوي،، المصدر السابق ص 83-84؛

²³ شوقي ضيف، الدكتور، ص 429؛

²⁴- محمود جاد عكاوي،، المصدر السابق ص 83-84؛

(عهد علي بن أبي طالب-ض) و اندلعت (كلور ليده؟) معها خطابة كثيرة في صفوفه و في الصفوف المعارضة كما اندلعت مناظرات مختلفة في الآراء المتقابلة . و كل ذلك فسح طاقة النثر العربي في صدر الإسلام.²⁵

و في هذا العصر، يقول الأديب الآخر، أن من أهم الأسباب التي بلغت بالخطابة غاية كمالها و جعلت الأمر في أيدي رجالها فإن الدعوة إلى الدين الجديد (الإسلام) و الرد على أعدائه، و الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر، و قمع الفتن، و رد البدع (في العقيدة)، و تحميس الجند، و شرح سياسة الدولة و ما تشتمل عليه من نظم اجتماعية و سياسية ... و ما كان يتمنع به العرب من حرية أكدها الإسلام و هذبها كما صارت إحدى شعائر الإسلام كخطب الجمعة و العيدين و عرفات.

و لقد كان لها من القرآن العظيم الذي نزل نثرا لا شعرا معين لا ينصب، و مدد لا ينفد، ... و لما تعددت الفرق بعد مقتل عثمان بن عفان (ض) ارتقت الخطابة رقيا عظيما لاعتماد كل حزب عليها في نشر فكرته (صوت جماعة في إحدى الفرق؟) و تأييد دعوته.²⁶

و بهذه البيانات تدل على أن نشأة الخطابة باللغة العربية الفصحى ازدهرت من بدء خلق الإنسان التي استخدمها نبي الله آدم عليه السلام و بعض الأنبياء من ذرياته و استعمله نبي الله سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله و سلم و الخلفاء الراشدون و من بعدهم من العلماء السلف الصالحين: التابعين و تابعي التابعين إلى اليوم.

أنواع الخطب

و إذا اهتمنا بالبحوث السابقة، فنجد هنا بنقصها الكثيرة مع أننا نتكلم عن التعريف و النشأة، في هذا الفصل سنبحث عن أنواع الخطب المذكورة التي تبدأ من عصر الجاهلية الثانية حوالي 150 سنة قبل ظهور الإسلام إلى آخر عصر صدر الإسلام، يعني منذ قرن زائد قبل وصول الرسول محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و صديقه أبي بكر رضي الله

²⁵- شوقي ضيف، الدكتور، ص 481؛

²⁶- محمود جاد عكاوي، ص 54؛

عنه إلى مدينة، إذ كانا وصلا في قباء و أسس الرسول (ص) مسجدا معروفا فيها إلى اليوم ... و صلى الرسول (ص) بأصحابه و **خطب** فيهم و هو أول خطبة في الإسلام، ثم دخل المدينة، فأواه أهلها و نصره.²⁷

فحقيقةً إنني لمصعب جدا لأبين أنواع الخطب، لأن نوعا في فن المعاملة جعله وسيلة هامة في حياة فرد لبناء عائلته أو جماعته لتكون سكيئة و سعيدة. و لكل رئيس إما في عائلته أو جماعته، و إما في قبيلته و لا سيما في شعبه يواجه في هذا العالم بعض مسائل التي اختلفوا بينهم و طلب منها الخلاص، مسائل دينية كانت أم غيرها. المسائل الدينية الهامة قد أخطأ فردا أو جماعة أو أمة، و قد أصح فردا فردا آخر أو جماعة أو أمة أخرى.

و هذه المناسبة، فيقول الله تعالى في كتابه العظيم: " كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين. و أنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، و ما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم. فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، و الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم".²⁸

و إذا رجعنا إلى كتب المصادر، عرفنا أن في هذه الحالة التي صور الله تعالى في كتابه العظيم قد وقعت في عصر الجاهلية الثانية و مع أننا نرى مدة نبي الله عيسى المسيح عليه السلام إلى هذا العصر حوالي 420 عام، و مدته إلى وصول الرسول في - قرية- قباء إلى - يثرب- المدينة عام 622 عام²⁹ و بهذه المدة الطويلة توضحنا أن شريعة نبي الله عيسى عليه السلام قد اختلفت بالخرافات و البدع و غيرها مناسبة بهوايت أكثر علماء

²⁷- محي الدين الخياط، الشيخ، في كتابه "دروس التاريخ الإسلامي" ط-13، 1370هـ/1951م، مطابع سميا، بيروت ج-1؛ ج-1 ص 37؛

²⁸- سورة البقرة/ 2: 213؛ كتبها فيضا لله (الحسيني) المقدسي في كتابه "فتح الرحمان لطالب آيات القرآن" ط- بالمطبعة الأهلية- 10 شعبان 1322هـ؛

²⁹- الأب لويس معلوف اليسوعي في قاموسه "المنجد في اللغة و الأعلام" ط- بيروت 1974م- 24؛ ص 771؛

النصارى و إرادتهم. و استخدموا الخطب الدينية لينالوا آمالهم. ولكن بعض الأدباء ينقسم الخطب غير دينية إلى سياسية، و قضائية، و خطب محافل³⁰.

و من خطب المحافل وجدناها فيه خطابة الإملاك، أو الزوج، أو النكاح، و المصاهرة و التعزية.³¹ و من الخطب السياسية وجدناها فيه خطابة الترحيبية، و الوفادة، و الدعوة إلى الحرب أو الإصلاح، و البياعة لخليفة (رئيس القبيلة؟) جديد المختار، و خطابة الانتخاب طلبا للتبرع. أما الخطب القضائية لم يعرفها العرب إلا في العصر الحديث. و عرفوا الخطب الدينية – الإسلامية- منذ ظهور الإسلام و الخصومة فيه. ثم صارت شعيرة دينية في صلاة الجمعة، و العيدين – الفطر و الأضحى- ، و الكسوف و الاستسقاء.³² إذن توجد أنواع الخطب العربية الثلاثة: خطب دينية و محافل و سياسية.

33 الخطابة في العصر الجاهلي

كلمة "الجاهلي" أنها استخدمت من قديم للدلالة على السفه و الطيش و الحمق و دارت الكلمة في القرآن العظيم و الحديث الشريف و الشعر

- محمد شافق غربال ، المصدر السابق ص 759؛³⁰-

³¹- انظر إلى شوقي ضيف، الدكتور، ص 410-412، و أحمد الإسكندري و مصطفى عناني ص 26؛

³²- محمد شافق غربال ، نفس المصدر السابق؛

³³- لمقارنة بين الخطابة في العصر الجاهلي و الإسلامي- فللباب الأول أتكلم فيها عن الخطابة من ناحية التعريف و النشأة و الأنواع: و من قبل، قدمت للقراء، خصوصا لأساتذتي الممتحنين هذه الرسالة صورة قصيرة عن مرتبة الخطابة؛ يعني وظيفتها أو مكانها في المجتمع؛

الجاهلي بهذا المعنى من الحمية و الطيش و الغضب، إذن ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم.³⁴

و أن مجتمع القبيلة في العصر الجاهلي كان يتألف من ثلاث طبقات، هي أبناؤها، و مواليتها، و عبيدها. و كان أهم شيء يشتد من بنيان هذا المجتمع حرصهم على الشرف. و ما سموه المروءة. إذا كان كل منهم يحرص على البذل، و الشجاعة، و الوفاء، و حماية الجار، و إباء الضيم. و تحللت ذلك آفات، أهمها: الخمر، و القمار، و استباحة النساء... و من المؤكد أنه كان للمرأة الحرة عندهم منزلة كريمة، و لم تكن معيشتهم واحدة. فقد كانت الزراعة منتشرة في الجنوب و الشرق و واحات الحجاز. و كان أهل مكة يعيشون على التجارة، على حين كان البدو يعيشون على رعي الأغنام و الأنعام و صيد الحيوان. و كان بينهم سادة يملكون مئات الإبل، و صعاليك لا يملكون شيئاً. و مع أنهم كانوا على صلة بالحضارات المجاورة، كانوا لا يزالون أقرب طور البداوة. و كان علم الأنساب أهم علومهم، و لم يكن لهم وراءه إلا معارف محدودة تقوم على التجربة الناقصة كبعض معارفهم الطبية، و الفلكية. و كان كثرتهم وثنية تتعبد لآلهة، و أصنام، و أوثان كثيرة، و كانت الكعبة في مكة أكبر معبد لهم. و كانوا يحجون إليها في أشهر معلومات. على أن نفرا منهم شكوا في أواخر هذا العصر في دينهم الوثني، و التمسوا دين إبراهيم و يسمون المتحنفة و الحنفاء، و كأنما كانوا إرهاباً لظهور الإسلام و الدعوة المحمدية. و كانت النصرانية في أثناء ذلك تنتشر في القبائل المحاذية للشام و العراق بينما كان كثير من اليهود ينزلون في واحات الحجاز و في اليمن. و تعربت كثرتهم إلا أن العرب ظلوا يزدرونهم و ينفرون من دينهم.³⁵

على هذه الحال، يقول الأستاذ محمود جاد عكاوي: ... سادها الجهل و الضلال، و عمها الظلم و الفساد... و عبدوا غير خالقهم... يعبدون الأكاسرة (كسرى)، و يقصدون القياصرة (قيصر)،... يعادون الفضائل، و

- شوقي ضيف، الدكتور، ج-1؛ ص 39³⁴ -

- نفس المصدر ص 425؛³⁵

يناصرون الرذائل، حتى ضجت الأرض مما تنوّ به من بغي و شر و همية و عدوان.³⁶ و زاد أبو الأعلى المودودي : ... لا ريب أنه كانت فيهم كثير من السيئات و المنكرات، و لكن الحق إنه ما كان منشأ هذه السيئات إلا أنه ما خلا فيهم رسول من الله منذ ألفين و خمسمائة سنة – يعني زمان إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام قبل 2500 سنة من بعثة محمد صلى الله عليه و آله و سلم. و ما قام فيهم زعيم يزكيهم و يعني بإصلاح أخلاقهم و تعليمهم المدنية و الحضارة. و كانت الجاهلية منتشرة فيهم لما عاشوا عيشة الحرية في الصحراء (الصحراء؟) قرونا من الزمان. و قد بلغ تماديهم في هذه الجاهلية أنه لم يكن لأحد قبل بتهديهم و إخراجهم من ظلمات البهيمية إلى نور الإنسانية ... ولكنهم كانوا مع كل ذلك أهلا لأن يقيموا الدنيا و يقعدوها إذا عنى بإصلاحهم و تعليمهم رجل عبقرى و قاموا على أثر دعوته و تعليمه بغاية سامية و رسالة شريفة في الدنيا. فإلى مثل هذه الأمة الفتية الباسلة المقدمة، كانت تحتاج الرسالة العالمية لنشر كلمتها و تعميم دعوتها في سائر أرجاء الدنيا و نواحيها.³⁷

أغراض الخطابة فيه

و إذا رجعنا إلى معاجم اللغة علمنا أن المراد بالأغراض هو البغية و الحاجة و القصد أو الهدف الذي يرمى إليه أو الحزب.³⁸ أما الأغراض التي قصدها العرب فيها ما يأتي:

- التحريض على القتال، و الحض على الأخذ بالثأر، و ما إلى ذلك من تهوين لشأن العدو، أو تنبيه على غرة منه، أو تهيئة تعبئة لملاقته.
- إصلاح ذات البين عند نشوب القتال، فيخطب رؤساء القبيلتين في تعظيم رزايا الحرب، و تعديد مصائبها، و التنفير منها، أو

³⁶ - محمود جاد عكاوي، ص 1؛³⁶

³⁷ أبو الأعلى المودودي، المرجع السابق ص 52؛³⁷

الأب لويس معلوف اليسوعي "المنجد في اللغة" المرجع السابق ص 548؛³⁸

- في إمكان تحمل دماء القتلى، و مفادى الأسرى و نحو ذلك.
- المفاخرة و المنافرة، و المباهاة بقوة العصبية و كرم النجار، و شرف الخصال و عظيم الفعال، ترهيبا للطامعين و تهديدا للمعادين.
- توضيح المقاصد، و تربية التواصل بالسفارات ما بين سادات قبائلهم و أقيالهم، و بينهم و بين الملوك المجاورة لهم في تأمين سبيل، أو خفارة درب، أو إجازة تجارة، أو استنجاد، أو تعزية.
- خطبة الإملاك بترغيب القبيل المخطوب إليه في قبيل المخطوب له، و عد فضائله و ذكر ما يسوقه من المهر و نحو ذلك.
- التوصية بفعل الرغائب، و اقتناء المحامد، و التبصر في العواقب و التراوي عند الحوادث، و يكثر ذلك من حكمائهم و كهانهم لعامتهم أو من الآباء لأبنائهم، و خاصة عند دنو آمالهم³⁹.
- و على هذه الأغراض المذكورة أكدها شوقي ضيف كما يقول: " فقد استخدموها في منافراتهم و مفاخراتهم بالأحساب و الأنساب و المآثر و المناقب ... و استخدموها في الحد على القتال و بعث الموحدة في نفوس قبائلهم و دفعها إلى نير ان الحرب و تراميهم في أوارها كأنهم الفراش. و كما كان يدعو خطباؤهم إلى الحرب و سفك الدماء كانوا يدعون إلى الصلح و إصلاح ذات البين و أن تضع الحرب أوزارها ... و كانوا كثيرا ما يخطبون في وفادتهم على الأمراء إذ يقف رئيس الوفد بين يدي الأمير من الغساسنة أو المناذرة فيحييه⁴⁰.
- و هكذا، و إذا قرأنا ما قال الأديبان عنها، عرفنا أنها مختلفة الأغراض، و الآن نستخلصها بدون أن ننقص المراد بها كما يلي:
- غرض المفاخرة و المنافرة، فأدرج فيه التوصية بفعل الرغائب

³⁹ أحمد الإسكندري و أخوه، المرجع السابق ص 24-25.

⁴⁰ شوقي ضيف، المرجع السابق ج-1 ص 410-411.

و غيره.

- غرض توضيح المقاصد، فأدرج فيه خطبة الإملاك.
غرض الدعوة، فأدرج فيه التحريض على شيء و إصلاح ذات البين عند شيء.

بعض نماذج الخطابة فيه.

عمدا في هذا الفصل أقدم لكم - أيها القراء- بعض النماذج من الخطب الجاهلية و هي الخطابة المعروفة ألقاها قيس بن ساعدة⁴¹ و كثيرا ما كتبها الأدباء في جميع كتبهم عن الأدب العربي، و هي كما يلي:

"أيها الناس، اسمعوا وعوا، إنه من هو عاش مات، و من مات فات، و كل ما هو آت آت، ليل داج، و نهار ساج، و سماء ذات أبراج، و نجوم تزهو، و بحار تزخر، و جبال مرساة، و أرض مدحاة، -أدحى- و أنهار مجراة، إن في السماء لخبرا، و إن في الأرض لعبرا، ما بال الناس يذهبون و لا يرجعون، أرضوا فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟

يا معشر إباد، أين الآباء و الأجداد؟ و أين الفراعنة الشداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالا و أطول أجالا، طحنهم الدهر بكلكله، و مزقهم بتطاوله، أقسم قس-قيس؟- بالله قسما حقا لا إثم فيه. إن لله لدينا هو أرضى عنده من دينكم الذي أنتم عليه⁴² معاني

المفردات:

تطمى تتملا: أثر باه	تزرخ	تدبروا الحفظوا	وعوا
الثبوت	المرساة	ذهب وقت فعله	فات
المدحوة المبسوطة خلاف الفصيحة	المدحاة	طحن أهلك	آت

انظر إلى صفحة "الملحقات/ ص "د".⁴¹

محمود جاد عكاوى، المرجع السابق ج-1 ص 88-89⁴²

لمزادة عظيمة الناقة الغزيرة اللبن	لخبرا	خدم	داج
لكثير الأهل	لعبرا	جمن البرج الجميل؛ هي منازل الكواكب	ذات أبراج
ما شأنهم	ما بال الناس	جمن الشديد	الشداد
		جمن كلاكلكل: أي جماعة	كلكل

خصائص الخطابة فيه

إذا نظرنا في المقدمة، فإنني أريد في هذا الفصل أن أبين لكم عن الخصائص فيه من ناحية الأسلوب و المعنى. لذلك نرجع إلى ما قال بعض الأدباء " ... و من ناحية الأسلوب : جزالة العبارة -بانا/بسر/هتهتي- و قوتها، الإيجاز و قلة الصور البيانية ، قصر الفقرات لا سيما في الحكم و الأمثال، البعد عن تكلف المحسنات البديعية⁴³ . و الآخر يقول: ... إن فقراته القصيرة الموجزة تؤلف حكما و أمثالا صالحة للتداول و التنقل من بيئة إلى بيئة و من عصر إلى عصر، و قد اشتد إيجازها لتيسير حفظها على السامعين، و كادت تخلو من أثر للسجع.⁴⁴ و من ناحية المعنى يقول بعض الآخر ... المعاني سطحية ف- منتزعة من البسطة عدم ترابط المعاني، امتلاؤها بالحكم و الأمثال، حلوها من العمق و التعليل المنطقي.⁴⁵ ثم نظرنا في رأي آخر أكدها أديب و يقول ... لا رابط بينها سوى الرغبة في الإرشاد ... توفر لهم القوة و العزة و التفوق، مستمدا إياها من تجاربه الكثيرة و ملاحظته الدقيقة، فجاءت كالقوانين الخلقية شديدة التركيز، قوة التأثير، كما تتحلى به من صدق و إخلاص و سهولة تعبير، و

⁴³ محمود جاد عكاوى، نفس المرجع ج-1 ص 102.

⁴⁴ محمد المجذوب، الشيخ في كتابه "الأدب العربي" ص 125.

⁴⁵ محمود جاد عكاوى، نفس المرجع

ليس فيها وحدة موضوعية و إنما هي خواطر لخص فيها تجارب مرت به،
فنثرها بغير ترتيب كما جاءت بغير ترتيب.⁴⁶
و إذا كنا نرابط عنها إلى رأي الدكتور شوقي ضيف كقوله ... كانوا
يحاولون التأثير البالغ في نفوس سامعيهم بما يسوقون إليهم من أسجاع و
ألفاظ غريبة و أقسام و أيمان موهمة.⁴⁷ فنجد هنا القيم الواقعية مناسبة
بالنموذج السابق.

الخطابة في العصر الإسلامي

إن كلمة "الإسلامي" هي منسوب بالإسلامي، و هي مصدر من
"أسلم-يسلم". و الإسلام بمعنى الانقياد لأمر الأمر و نهيهِ بلا اعتراض، و
هو دين مشهور. و أهل الإسلام يطلق عليهم بالمسلمين.⁴⁸ و هو الدين الذي
أنزله الله (دين الله) على محمد بن عبد الله النبي العربي المولود بمكة
(571-م) المتوفى بيثرب أي المدينة (632-م). عرف باسم الإسلام منذ
عهده الأول.⁴⁹

و هذا الدين أيضا يطلقه من إخواننا المسلمين في كل قطر على
العقيدة و معنى هذه الكلمة؛ الخضوع و الاستسلام (الله).⁵⁰ و للآخر يقول له
"هو وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال،
و الفلاح في المال.⁵¹ و الدين في عرف القرآن هو الإيمان بالأصول الدينية

⁴⁶ محمد المجذوب، نفس السابق

⁴⁷ شوقي ضيف، المرجع السابق ج-1 ص 429

⁴⁸ الأب لويس معلوف اليسوعي، المنجد في اللغة، المرجع السابق ص 347

⁴⁹ محمد شاشق غريبال، المرجع السابق ص 154-155.

⁵⁰ محمد ثابت الفندي و إخوانه في كتبهم "دائرة المعارف الإسلامية ج-1 ص 149.

⁵¹ نفس المرجع. و يرى شيخنا محمد قاسم عبد السلام، أن كلمة "المال" هنا خطأ فصحه "المال"⁵¹
، أظن مأخوذة من كلمة "المأمل" يعني "الأمل" منجد ص 18.

التي هي حقائق خالدة لا يدخلها النسخ و لا تختلف فيها الأنبياء و إن الإسلام هو هذا الدين، إذ لا دين غير عند الله، و لذلك هتف به (يغدسبوتسبو أوليه) الأنبياء.⁵² و هو أيضا دعوة موجهة للإنسانية عامة لا فرق بين عرب و عجم، و أمة و أمة و جنس و جنس.⁵³ و هذه البيانات أكدها أبو الأعلى المودودي كما يقول له: "...إن جميع الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى ما علموا الناس إلا الدين الإسلامي يعني الإيمان بالله و ذاته و صفاته و اليوم الآخر على وجه الذي هدى الله هؤلاء الأنبياء و كتبه و الصدق بها و لا اتباع إلا ذلك الطريق المستقيم الذي قد أوضحتها هذه الكتب و اتباع رسل الله الصادقين و لا اتباع غيرهم و توحيد الله و لا شريك له بعبادته أحدا.⁵⁴ و انتقلت الكلام عن حالة العرب فيه كما عرفنا من البحوث السابقة أن تاريخ الأدب العربي ينقسم إلى خمسة أعصار/ عصور. فالعصر الأول: نحو قرن و نصف قبل الذي يبتدىء عصر الجاهلية، يعني الجاهلية الثانية عصر الجاهلية الأولى ظهور الإسلام (610 – 622 م) ، أما قبله، يعني يبتدىء منذ القرن الرابع. و الثاني: عصر صدر الإسلام (612 م) و يشمل بني أمية (سنة 661م) و يبتدىء بظهور الإسلام و ينتهي بقيام دولة بني و الرابع و الخامس العباس سنة 132 هـ / 750 م. و أما العصر الثالث سأبحثها في فرصة أخرى. و إذا رجعنا إلى بعض كتب الأدب عرفنا فيه حالة العرب كما صورها الدكتور شوقي ضيف: "... فيه كيف أخرج الإسلام العرب من الظلمات إلى النور و بعثهم بعثا جديدا استضاءوا فيه بهدى القرآن الكريم و حديث الرسول صلى الله عليه و سلم. و قد مضى من أسلموا يجاهدون معه قريشا و العرب، حتى دخلوا في دين الله أفواجا، و أمت بالإسلام بعد وفاة

محمد شاشفق غربال، المرجع السابق ص 155 و 159⁵²

نفس المرجع ص 155.⁵³

الرسول أحداث خطيرة، فحروب الردة تتبعها الفتوح وفتنة عثمان (ض) تتبعتها حروب علي (ض).⁵⁵

فيقول الأستاذ محمود عكاوي: "... هكذا أورد الإسلام إلى الحياة بهجتها ... حتى قلب العقلية العربية قلباً، وشن على الجاهلية حرباً، ورسم للاجتماع مثلاً أعلى يخالف ما ألفوه ز يناقضون ما عرفوه ... لا جرم أن أرقى الدول مهارة في هذا العصر قد عزجت عن تحقيقه في مجتمعاتها التي تموج بثتى مساوى الجاهلية، و ذلك لأنها تسترشد بهدى هذا الدين بل ناصبته العدا، و لا تزال تشن عليه حرباً عشواء.⁵⁶

و من آثاره، يقول أبو الأعلى المودودي: ... الذين ماكانوا من الأخلاق و الآداب في شيء. قد زكى آدابهم و هزّب أخلاقهم حتى أن الدنيا لا تكاد تقضى عجبها اليوم (1970 م؟) عندما تقرأ وقائعهم و أحوالهم في كتب التاريخ. و الذين كانوا أحط أمم الأرض و أضعفها نالوا في أنفسهم بفضل تأثير هذا الرجل، و دعوته خلال 23 سنة، قوة سخرت لهم دول فارس و الروم و مصر و انتشروا بتعليم الإسلام و شريعته في أنحاء آسيا (آسيا؟) و أفريقية و أوربة النائية.⁵⁷

أغراض الخطابة فيه

نتكلم عن أغراض الخطابة، يقول لها الشيخ أحمد الإسكندري و أخوه سبعة أغراض، منها ليجعلوا خطباء الدين، و الدعوة إلى الدين، و الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر، و قمع الفتن، و ردّ: منولاً| ردع: أفاي مغهنتيكن/ مناهن فسبرن- البدع، و تحميس الجند.⁵⁸ و كذلك قررها شوقي ضيف كما قال: ... استخدمها الرسول و من بعده آلة لدعوة الإسلام - الدعوة إلى الله بعقيدة الإسلام و شريعته و أخلاقه - و يندرون بها بأن

⁵⁵ شوقي ضيف، الدكتور، المرجع السابق ج-2 ص 480.

⁵⁶ محمود عكاوي، المرجع السابق ج-2 ص 2.

⁵⁷ أبو الأعلى المودودي، المرجع السابق ص 61.

⁵⁸ أحمد الإسكندري و أخوه، المرجع السابق ص 176.

خلقهم الله لا غير إلا ليعبدوه و ليستشعروا كل ما يمكن من الكلمات الروحية و الاجتماعية و الإنسانية حتى تتم لهم السعادة في الدين، و ما عدا ذلك استخدموها ليحضوا قومهم على الثورة و يحثوهم على الطاعة و الجهاد للدفاع المقاتلين: الكفار و نشر الدين الحنيف في أطباق الأرض و الصبر في القتال حتى الاستشهاد طلبا لما عند الله الثواب.⁵⁹

و هذان الرأيان أكدهما أبو الأعلى المودودي لما وصف الرسول (نبينا محمد) صلى الله عليه و سلم كما قال: ... فتراه قائدا منقطع المثل من قواد الجيش، و قاضيا ماهرا من القضاة، و مُقنِّبا غير عادي من المقننين، و فيلسوفا نطاسيا من الفلاسفة، و مصلحا مبتكرا من مصلحي الأخلاق و التمدن، و سياسيا محنكا من رجال السياسة في حين واحد.⁶⁰

ثم إن هذه الأغراض المذكورة استخلصناها كما يلي:
 غرض الدعوة إلى الدين الإسلامي (دين الله) فأدرج فيه الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و الحث على الطاعة، لأنه مقنن و فيلسوف.
 غرض قمع الفتن فأدرج فيه ردع البدع، لأنه مصلح؛
 غرض تحميس الجند، فأدرج فيه الجض على الثورة، و الجهاد للدفاع المقاتلين الكفار، و نشر الدين الجديد و الصبر في القتال، و اتخاذ خطباء الدين، لأنه قائد و قاض ماهر و سياسي.

بعض نماذج الخطابة فيه

حاولت في الفصل السابق بعض نماذج الخطب الجاهلية، و هنا أفعل كما فعلت فيه، غير أن في هذا الفصل أقدم لكم نموذجتين: بزيادة خطابة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كما يلي:
 الأول، خطابة الرسول (نبينا محمد بن عبد الله) صلى الله عليه و سلم ، بعد أن حمد الله و أثنى عليه فقال: "أيها الناس، إن لكم معالم، فانتهوا إلى نهايتكم، - و- إن العبد بين مخافتين: بين أجل قد مضى، لا يدري ما الله

⁵⁹ شوقي ضيف ج-2 ص 106-107.

⁶⁰ أبو الأعلى المودودي، المرجع السابق ص 62.

صانع به؟ و بين أجل قد بقي، لا يدري ما الله قاض فيه؟ فاليأخذ العبد من نفسه لنفسه، و من دنياه لآخرته، و من الشبيبة قبل الكبر، و من الحياة قبل الموت، و الذي نفس محمد بيده ، ما بعد الموت من مستعب⁶¹ ، و ما بعد الدنيا من دار، إلا الجنة أو النار".⁶²

الثاني، خطابة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على أتباعه من حقوق و ما عليه نحوهم من واجبات، بعد أن حمد الله و أثنى عليه، و صلى و سلم على رسول الله، فقال: "أما بعد، فإن لي عليكم حقاً، و إن لكم عليّ حقاً، و أما حقكم علي فالنصيحة لكم ما صحبتكم، و توفير فيئكم عليكم، و تعليمكم كيلا تجهلوا، و تأديبكم كيما تعلموا. و أما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة، و النصح لي في المغيب و المشهد، و الإجابة حين أدعوكم، و الطاعة حين أمركم. فإن يرد الله بكم خيراً تنزعوا⁶³ عما أكره، و ترجعوا إلى ما أحب، تنالوا ما تطلبون، و تدركوا ما تأملون

خصائص الخطابة فيه

و إذا نظرنا في أحد الكتب الأدبية، يقول فيها أحد الأدباء على أن أثر الإسلام فيه عظيم، و من ناحية المعاني: عمق الفكر، و ارتباطه بروح الإسلام من حيث تحليل الأحداث، و دراسة الأسباب، و النتائج. و من ناحية الأسلوب، فقد انتقى ذلك التفكك الذي لمسناه في الأدب الجاهلي، إذا اتجه الأديب إلى وحدة الموضوع ... و كان ذلك في النثر - خصوصاً "الخطابة"- أكمل، لأنها أطول لصاحبها من الشعر المقيد بالوزن و القافية ... و من هنا بتنا نقرأ الخطابة ... غاذا نحن أمام موضوع موحد مرتب الفقرات حتى لا نجد سبيلاً إلى انتزاع فقرة أو تغيير مكانها.⁶⁴

معالم جمع من معلم: و هو الأثر الذي يرشد إلى الطريق|فانتهوا: قفوا عندها لا تتعدوها | و⁶¹ الذي نفس محمد بيده: قسم بالله| مستعب: طلب الرضا؛

محمود جاد عكاوي، الشيخ، المرجع السابق ج-2 ص 26.⁶²

الفيء: العطاء.| في المغيب: غيبتي| في المشد: في حضوري| تنزعوا: تكفوا و ترجعوا.⁶³

محمد المجذوب، الشيخ، المرجع السابق ص 127.⁶⁴

و الآخر يقول حول خصائصها الفكرية و الفنية إنها فيه سبعة خصائص، منها: افتتاحها بحمد الله و الثناء عليه و الصلاة – والسلام – على رسوله، و اختتامها بالدعاء و الاستغفار؛ و محاولة محاكاتها أسلوب القرآن في إقامة الحجة و الاقتباس منه؛ و تجنب السجع إلا ما جاء عفوا و دون تكلف؛ و عذوبة ألفاظها، و متانة أساليبها، و قوة تأثيرها، و غزارة معانيها، و ترابط جملها؛ وحدة موضوعاتها و سمو أغراضها؛ و اشتمالها – في العصر الأموي- على عبارات التهديد و الوعيد و على الالفاظ الغربية أحيانا مع قوة في اللفظ، و جزالة في الأسلوب، و غزارة في المعنى، و ترتيب للأفكار، و تأثير بمعاني القرآن، و تنوعها بين الإيجاز و الإطناب بحسب ما تقتضيه الحال.⁶⁵

و بعد ما اهتمنا بالبيانات السابقة، نجد فيها الخلاصة من ناحية المعاني و الأساليب، أستخلصها كما يلي:

- أن الخطابة في العصر الإسلامي وحدة الموضوع؛
- أثرها أدب جاهلي إلا قليلا؛
- عمق الفكري، و ارتباطه بروح الإسلام.

المقارنة بين الخطابتين: الجاهلية و الإسلامية

و لعل في هذا الباب يكون تمام البحث مكملا في الإفهام بعد أن أقدم أولا الفصلين عن الخطباء الجاهليين و الإسلاميين و أختتم بالفصل الثالث الأخير. أما المراد بالمقارنة هي الجمع و هي مصدر من "قارن" بمعنى "صاحب و اقترن به. و إذا قلنا "قارن بين الشيء و الشيء" بمعنى جمع.⁶⁶ و أقصدها هنا "جمع الحوادث في العصرين الذين فيهما الخطابة. لذلك، سألاحظ جمع الحوادث التي بحثناها في الأبواب و الفصول الماضية التي

⁶⁵ محمود جاد عكاوي، اتمرجع السابق ج-2 ص 55.

⁶⁶ الأب لويس معلوف اليسوعي، المرجع السابق، المنجد في اللغة- ص 624.

كان لها علاقة بهذا الباب. و أحاولها في البحث ناحية بعد ناحية، و ربما كافيها المسائل التي وجدناها من بعد، نيلا عن البحوث المحددة فيها. و هذه الفصول كما يلي:

الخطباء الجاهليون

الخطباء جمع الخطيب، و هو المتحدث عن القبيلة في الجاهلية، و من أقدمهم هو كعب بن لؤي؛ جد السابع للنبي محمد صلى الله عليه و سلم. و كان يخطب العرب و يحض على البر كنانة خاصة. و لما مات، أكبروا موته و أرخوا به حتى كان عام الفيل (أبرهة 570م).⁶⁷ ثانيهم، هانئ بن قبيصة الشيباني، الذي يحرض قومهم و هو يدللك على مذهب الجاهليين في النثر من تفكك المعاني⁶⁸ و ضعف ارتباط الجمل.⁶⁹ ثالثهم، مرشد الخير الحميري، أحد أقيال⁷⁰ حميرى من أخطب خطباء الجاهلي، عرف بإصلاح ذات البين بين المتخاصمين.⁷¹ رابعهم، هاشم بن عبد مناف (500-524م) ولد في مكة و تولى عن أبيه السقاية و الرفادة (المعاونة).⁷² و فد على الشام في تجارة فتوفي في غزة (فلسطينا اليوم؟).⁷³

- أحمد الإسكندري و أخوه، الشيخ، المرجع السابق ص 26؛⁶⁷

- فكّ اللغز: منركا تكاتكي/ فكاك الرهن: فنبوس كادي؛ محمود يونس: 323؛⁶⁸

- نفسه، ص 28، انظر المنجد ص 299 و حسن الزيات ص 26؛⁶⁹

- أقيال جمن قيل: أي رئيسك⁷⁰

- أحمد الأسكندري و أخوه، الشيخان، المرجع السابق ص 28، و المنجد ص 652؛⁷¹

- محي الدين الخياط، الشيخ، المرجع السابق ج-1 ص 18؛⁷²

- محمود جاد عكاوي، الشيخ، المرجع السابق ج-1 ص 84، و المنجد ص 724؛⁷³

خامسهم عبد المطلب بن هاشم (ت نحو 579 م) اسمه شيبية و عبد المطلب صفة غابت عليه. هو جد النبي الذي كفله و رعاه بعد وفاة أبيه عبد الله.⁷⁴ آلت إليه سقاية الحجاج و هي إلى اليوم في بنى شيبية.⁷⁵

سادسهم، قص بن ساعدة.⁷⁶

سابعهم، أبو طالب بن عبد المطلب (عبد مناف) [ت 620 م] عام النبي صلى الله عليه و سلم، والد علي، كفل ابن أخيه محمدا بعد وفاة جده عبد المطلب. و رعاه، و قام على تنشئته ولم يصدعه برسالته و صدقه، كان (أبو طالب) كبير بيوتات قريش و المهاب في قومه. توفي قبل الهجرة بثلاثين سنين عن ثمانين سنة (من عمره؟). روي أنه أسلم بأخر نفس.⁷⁷

ثامنهم، أكثم بن صيفى (ت 9 هـ / 630 م)، أحد حكماء العرب من تميم في الجاهلية، و أكثرهم ضرب مثل. كان سديد الرأي، قوي الحجة، رآه كسرى أنو شروان فقال: "لولم يكن العرب غير لكفى. عدّه العرب بين المعمرين. قصد المدينة (يثرب) ليسلم، فتوفي في الطريق، و قيل: هو أبلغ حكماء العرب و أعرفها بأنسائها، و أكثرها ضرب أمثال. كان خطيبا مصقعا⁷⁸ حكما موافقا؛ رفيع المكانة في قومه، يعدّ من أشرافهم و من كبار المحكمين فيهم؛ و قلّ من جاره من خطباء عصره في معرفة الأنساب، و ضرب الأمثال و الاهنداء لحل المشكلات و السداد في الرأي. و هو زعيم الخطباء الذين وفدهم النعمان (من الأقيال) على كسرى. و كلهم خطباء مصاقع، و لنّ مفاول. أعجبه كسرى، و قد عمر طويلا حتى أدرك مبعث

- هذا الخبر لعله يحتل على الخطأ في المطبعة، لأن أكثر المؤرخين رأوا كفله جده بعد وفاة أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف (تحقيق)؛

- أحمد حسن الزيات، الشيخ، المرجع السابق، ص 25؛⁷⁵

- محمود جاد عكاوي، الشيخ، المرجع السابق ج-1 ص 88-89؛⁷⁶

- نفسه، ص 87، المنجد ص 16؛⁷⁷

- (يلغا، علي الصوت أو الذي لا يرتجح في كلامه و لا يتعتع؛⁷⁸

النبي محمد صلى الله عليه و سلم، وجمع قومه و حثهم على الإيمان به، و في إسلامه روايات.⁷⁹

تاسعهم، عمرو بن معديكرب الزبيدي. خطيب و شاعر و فارس قاهر و صحابي جليل، شهد اليرموك و القادسية و أبلى فيهما البلاء الحسن على كبر في سنة و ضعف في جسمه (542-641م).⁸⁰

عاشرهم، جعفر بن أبي طالب (ت 8/629م)، صحابي هاشمي من الشجعان ابن عم النبي، حامل اللواء في غزوة مؤتة، لم يتحركه حتى بترت يده و استشهد. كناه النبي بذي الجناحين.⁸¹

الخطباء الإسلاميون

إذا تأملنا في الفصل السابق فيه الخطباء الجاهليون الذين يتكلمون عن المفاخرة و المنافرة أو توضيح المقاصد أو الدعوة و غيرها. و أريد أن أشرح في هذا الفصل الخطباء الإسلاميين الذين يتكلمون عن الدعوة إلى الدين الغريب عنهم أو قمع الفتن أو تحميس الجند. و على ذلك يقول أحد الأدباء إن فيه لم يخرج الخطباء عن عاداتهم من اعتبار العمامة و الاشتغال بالرداء و اختصار المخرصة و الخطبة قيام.⁸²

و من أقدمهم الرسول نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم.⁸³ ثانيهم، أبو بكر الصديق (عبد الله [573-634م / 13 هـ]. ي أول الخلفاء الراشدين (11-13 هـ / 632-634 م). والد عائشة، زوجة النبي، حارب أهل الردة، و هزم مسيلمة الكذاب. وجه أسامة إلى سورية، و خالد بن الوليد إلى العراق. توفي في المدينة.⁸⁴ [سنتين]

- أحمد الأسكندري و أخوه، الشيخان، المرجع السابق ص 32؛⁷⁹

- نفسهز ص 26 و المنجد ص 479؛⁸⁰

- محي الدين الخياط، الشيخ، المرجع السابق ص 32 و المنجد ص 215؛⁸¹

- أحمد الأسكندري و أخوه، الشيخان، المرجع السابق ص 107؛⁸²

- أحمد حسن الزيات، الشيخ، المرجع السابق، ص 176؛⁸³

- أحمد الأسكندري و أخوه، الشيخان، المرجع السابق ص 111 و المنجد ص 14؛⁸⁴

ثالثهم، عمر بن الخطاب (ت 23 هـ / 644م)، ثاني الخلفاء الراشدين (13-23 هـ / 634-644م)، و أول من لقب بأمرير المؤمنين، ولد فى مكة خلف أبابكر الصديق فى خلافة المسلمين، عرف بسده ولائه للنبي، يضرب بعدله المثل، فى أيامه فتحت الجيوش الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص، و أبو عبيدة بن الجراح، و يزيد بن أبى سفيان، و خالد بن الوليد، و سعد بن أبى وقاص الأمبراطوريين الساسانية و البيزنطية. أنشأ "الديواب" لدفع رواتب الجيش و "الأمصار" لتحديد قاعدات الجند، و المدن اغتاله مولى فارس.⁸⁵ [10 سنوات]

رابعهم، عثمان بن عفان (ت 35هـ/656م)، ثالث الخلفاء الراشدين (23-35 هـ / 644-656م). قريشي من عائلة أمية، من تجار مكة الكبار. اعتنق الإسلام باكرا على يد أبى بكر، تزوج برقية بنت النبي، ثم بأم كلثوم. بوع له بالخلافة بعد عمر، عهد إلى عائلته بالمناصب القيادية. جمع القرآن. قتل فى داره أثر فتنة.⁸⁶ [12 سنة]

خامسهم، علي بن أبى طالب (ت 40 هـ/661م). رابع الخلفاء الراشدين (35هـ/665م). ربيب النبي و ابن عمه و صهره على بنته فاطمة. من أبطال المعارك الأولى التي خاضها المسلمون فى بدر، و أحد، و خير، و الخندق، و حنين. كان رأى فريق -فريقا؟- من المسلمين مبايعته بالخلافة بعد وفاة النبي، لكن بيعته تمت بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان. أنهى بسرعة عصيان البصرة فى معركة الجمل، و كاد ينهى عصيان معركة صفين، لولا شباهات الخوارج، و بينما هو يتهيا لجسم الموقف اغتاله خارجي. كنيته "أبو تراب"، يعتبر صاحب المدرسة الأولى فى الإسلام⁸⁷ التى نبثق منها مجرى ثقافى عريض.

- أحمد حسن الزيات، الشيخ، المرجع السابق ص 176 و المنجد ص 477؛⁸⁵

- نفسه، ص 176، و المنجد ص 456؛⁸⁶

الفصل الثالث: الأشباه و الفروق و العوامل المؤثرة على الخطابة فيهما
 فى هذا الفصل الأخير من البحوث عنه، أقدم الأشباه و الفروق و
 العوامل المؤثرة على الخطابة فيهما كما يلي:
 و من الأشباه، أن الخطابة فيهما لها الأغراض الثلاثة، و الخصائص
 الخاصة منها، و الخطباء من كبار الأئمة؛
 و من الفروق، أن:

في صدر الإسلام	في الجاهلية
ابتدؤها بحمد الله، و الصلاة و السلام على رسوله، و اختتامها بالدعاء و الاستغفار.	1- ابتداء الخطابة باللات أو العزى، و بعضهم كان يفتتحها قيقول "باسمك اللهم"؛
تفاوتت بين الإيجاز و الإطناب حسب المقام	2- كانت تميل الإيجاز مع قلة المترادفات
طالت الجمل نوعا ما و زاد الارتباط بينها، و هجر السجع المتكلف	3- الجمل قصيرة مع قلة الترابط بينها و الحرص على السجع
اتسعت معانيها و عمقت بما استمدت من معانى القرآن و الحديث	4- كانت معانيها ساذجة واضحة مستمدة من البيئة
تهذبت أغراضها و سمت أهدافها و أصبحت تستخدم في الحث على الجهاد و الدعوة إلى التوحيد و مكارم الأخلاق. ⁸⁸	5- كانت تستخدمها كثيرا من إثارة العصبية الجاهلية و التحريض على القتال و الأخذ بالنار.

و من العوامل المؤثرة على الخطابة فيهما، و هي:

في صدر الإسلام	في الجاهلية
الدينية الإسلامية	1- الدينية الوثنية
العقلية	2- الهواوية

- محمود جاد عكاوي، الشيخ، المرجع السابق ج-2 ص 56؛⁸⁸

الاختتام

هذا، فرغت من بحث هذه الرسالة المتواضعة بعد أن بذلت فيها أوقات كثيرة. و عسى أن تكون متفقة في كتابتها أو أقرب من الاتفاق كما أسأل الله اللطيف الخبير العون و الرحمة و الهداية لاستكمالها في بعض الأبواب و الفصول التي لا تكفى أو التي في حاجة إلى مزيد من البيانات، و أخص في الاختتام كما يلي:

- 1 - الخطابة فن من مواجهة الجماهير. فقد نشأت بين العرب في الجاهلية و الإسلام؛
- 2 - للخطابة أغراض حسب ظروف الأمة؛ فهي في الجاهلية وسيلة لأثارة الحروب و الحماسة و نحوهما، و في الإسلام وسيلة لبث/ لنشر الدعوة الإسلامية؛
- 3 - اتسعت أغراض الخطابة في الإسلام عن سابقها الجاهلي و اكتسبت كثيرا من الأساليب ذات لصبغة الإسلامية؛
- 4 - رجال الخطابة في الجاهلية و الإسلام أصبحوا مرآة (جرمين؟) لما تكون عليه الخطابة من الانحطاط و الرقي؛
- 5 - إن الخطابة وسيلة التجأ إليها المسلمون في بث الدعوة الإسلامية؛

هذا، و أرجو الله أن يجعل هذه الرسالة نافعة لى و لإخوانى الطلبة، و لمحبيب الأدب العربى. و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب.

ثبت المراجع

- القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف؛
 - الأب لويس معلوف اليسوعي في قاموسه "المنجد في اللغة و الأعلام" ط.
 بيروت 1974م ط-24؛
 - أبو الأعلى المودودي، الشيخ العلامة، في كتابه "مبادئ الإسلام" ،
 مؤسسة الرسالة، بيروت 1395 هـ - 1975م مبيض 1912م؛
 - أحمد الإسكندري و مصطفى عناني : الشيخان في كتابهما "الوسيط" دار
 المعارف بمصر ط-18 1335 هـ / 1912م؛
 - أحمد حسن الزيات، الضيخ، في كتابه "تاريخ الأدب العربي"، ط- 15
 -دار نهضة مصر للطبع و النشر- الفجالة- القاهرة؛
 - شوقي ضيف، الدكتور، في كتابه "تاريخ الأدب العربي" ج 1-2، ط-
 مصر دار المعارف- 1960م؛
 - طه حسين، الدكتور، في كتابه "من حديث الشعر و النثر"، ط- 10، دار
 المعارف بمصر 1936م؛
 - فيضا لله (الحسيني) المقدسي في كتابه "فتح الرحمان لطالب آيات
 القرن" ط- بالمطبعة الأهلية- 10 شعبان 1322÷؛
 - محمد ثابت الفندي و إخوانه في كتابهم "دائرة المعارف الإسلامية" الجزء
 الأول؛
 - محمد شافق غربال في كتابه "الموسوعة العربية الميسرة" ط- دار القلم
 1959م / 1965 م دار القومية مطبعة مصر؛
 - محمد المجذوب، الشيخ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في كتابه
 "الأدب العربي"؛
 - محمود جاد عكاوي، الشيخ المبعوث المصري في كتابه "الموجز في
 الأدب العربي" ج 1-2، مطبعة يوجياكرتا؛
 - محي الدين الخياط، الشيخ، في كتابه "دروس التاريخ الإسلامي" ط- 13،
 1370هـ / 1951م، مطابع سميا، بيروت ج-1؛
 -HAMKA, DR, Panjimas, Jakarta, pertengahan Agustus 1977;

